فالمراد به اقرار نفوسهم لا اقرار السنتهم فانهم انقسموا فى اقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة و
الاشخاص الى مقر والى جاحد ولذلك قال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله معناه ان اعتبرت احوالهم
شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم فطرة الله التى فطر الناس عليها اى كل ادمى فطر على الايمان بالله
بل على معرفة الاشياء على ما هى عليها اى كل ادمى فطر على الايمان بالله على معرفة الاشياء على ما هى
عليها اعنى انها كالمتضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس
بالفطرة انقسم الناس الى من اعرض فنسى وهم الكفار والى من اجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها
بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال تعالى لعلهم يتذكرون وليتذكر اولوا الالباب واذكروا نعمة الله عليكم
وميثاقه الذى واثقكم به ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد وكان
التذكر ضربان احدهما ان يتذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى القلب لكن غابت بعد الوجود والاخر ان
يتذكر صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة وهذه حقايق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من مستروحه
السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الايات ويتعسف فى تاويل
التذكر واقرار النفوس انواعا من التعسفات ويتخايل اليه فى الايات والاخبار ضروب من المناقضات وربما
يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت فمثاله مثال الاعمى الذى يدخل دارا
فيعثر فيها بالاوانى المصفوفة فى الدار فيقول ما لهذه الاوانى لا ترفع من الطريق وترد الى مواضعها
فيقال له انها فى مواضعها وانما الخلل فى بصرك فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه واطم منه واعظم
اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر من عمى الفرس ولمشابهة الباطن البصيرة الظاهر
قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى وقال وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض الاية ويسمى
ضده عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقال ومن كان فى هذه اعمى فهو فى
الاخرة اعمى واضل سبيلا وهذه العلوم التى كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان
بالبصيرة ويسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم تعلق به من الدين الا قشوره
وامثلته دون لبابه وحقايقه فهذه اقسام ما يطلق اسم العقل عليه **بيان تفاوت
الناس فى العقل** قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله
بل الاولى والاهم المبادرة الى التصريح بالحق والحق الصريح فيه ان التفاوت يتطرق الى الاقسام
الاربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات فان
من عرف ان الاثنين اكثر من الواحد عرف ايضا استحالة كون شخص واحد فى مكانين وكون الشى الواحد
قديما حادثا وكذلك سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك فاما
الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها اما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات
لا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت احوال الشخص الواحد وهذا التفاوت تارة يكون
لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور

عليه فان

[library stamp]

عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا فاذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياسة تزداد قوة بالكبر
لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على
الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه فى العقل اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد
على الجملة فيه مضرة ولكن لما كان علم الطبيب فيه اتم كان خوفه اشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة
فى قمع الشهوات وكسرها ولذلك يكون العالم اقدر على ترك المعاصى من الجاهل لقوة علمه بضرر
المعاصى واعنى به العالم الحقيقى دون ارباب الطيالسة واصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة
الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا ايضا فانه
يقوى غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية اليه وقد يكون بمجرد التفاوت فى غريزة
العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة اشد اما القسم الثالث وهو علوم التجارب
فتفاوت الناس فيه لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه اما
تفاوت فى الغريزة واما تفاوت فى الممارسة فاما الاول وهو الاصل اعنى الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل الى
جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادى اشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد
نموا خفى التدريج الى ان يتكامل بقرب الاربعين سنة ومثاله نور الصبح فان اوائله يخفى خفاء يشق ادراكه
ثم يتدرج الى الزيادة الى ان يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق
مدرك بين الاعمش وحاد النظر بل سنة الله جارية فى جميع خلقه بالتدريج فى الايجاد حتى ان غريزة
الشهوة لا تركز فى الصبى عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيئا فشيئا على التدريج وكذا جميع القوى
والصفات ومن انكر تفاوت الناس فى هذه الغريزة فكانه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن ان عقل النبى
صلى الله عليه وسلم مثل عقل احاد السوادية واجلاف البوادى فهو اخس فى نفسه من احاد السوادية وكيف
ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلف الناس فى فهم العلوم ولما انقسموا الى بليد لا يفهم بالتفهيم
الا بعد تعب طويل من المعلم والى ذكى يفهم بادنى رمز واشارة والى كامل تنبعث من نفسه حقايق الامور
دون التعليم يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور وذلك مثل الانبياء صلوات الله عليهم اذ يتضح لهم زيتها م
فى باطنهم امور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث قال ان روح القدس نفث فى روعى احبب من احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت
واعمل ما شئت فانك مجزى به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحى الصريح الذى هو
سماع الصوت بحاسة الاذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك اخبر عن هذا بالنفث فى الروع ودرجات
الوحى كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظن ان معرفة درجات الوحى
تستدعى منصب الوحى اذ لا يبعد ان يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعرف الفاسق درجات العدالة
وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء اخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل
من عرف الورع والتقوى والدقايق كان تقيا وانقسام الناس الى من يتنبه من نفسه ويفهم والى من لا يفهم

Copyright @ King Saud University